من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

تـأمُّلات تحت أقـدام الصليب[١]

✪✣✪

إنَّ التأمُّل المتواصل في صليب ربنا، يُكسِب النفس حريةً وسلامًا وقوةً وغفرانًا.

وبقدر ما يزداد تأمُّلنا في الصليب، بقدر ما تتعمَّق شركتنا ومعرفتنا للربِّ يسوع.

إنَّ المسيحي لا يستطيع أن يقول إنه يعرف المسيح، إنْ لم يكنْ له شركة مقدَّسة في تأمُّلٍ مستمرٍ في صليب المسيح. لذا جيِّدٌ لنا أن نقف يوميًّا أمام الصليب نتأمَّل **أولًا:** في خطايانا التي سبَّبت هذا الصليب؛ **وثانيًا:** في عُمق محبة الله، الذي قّبِلَ كلَّ هذه الآلام في جسده نظير خطاياي.

إلهي يسوع:

إنَّ صليبك الغالي هو أجمل هدية منك لي، أقبله وأحمله بفرحٍ. وإنْ لم تُرسل لي، يا حبيبي، صليبًا، سأبحث لي عن صليبٍ داخلي، ربما يكون تدريبًا على احتمال، ربما صوم، ربما سهر، ربما خدمة... وسأقبل كلَّ هذا بسرور. نعم حقًّا قيل: " إن الذين تذمَّروا على الصليب، وجدَّفوا، انحدر بهم الصليب للهاوية (كاللِّص الشمال)، والذين قبلوه بفرح، ارتفع بهم للفردوس (كاللِّص اليمين)"[٢]. إنَّ أجمل فرصة في حياة اللِّص اليمين كانت لحظة اقترابه من يسوع المصلوب. ربي وإلهي، لا تسمح لي أن أبتعد عن صليبك أبدًا، ولا عن نِيرك الهيِّن.

إلى أيِّ حدٍّ وإلى أيِّ مدًى سأحمل الصليب؟

كثيرون ساروا وراء الرب يسوع، ولكن قليلين جدًّا وصلوا إلى الجلجثة. هؤلاء الذين أحبُّوك: أُمُّك العزيزة الحبيبة؛ ومريم المجدلية التي أحبَّت كثيرًا، فغُفِرَت لها خطاياها الكثيرة؛ ويوحنا الحبيب الذي تعلَّم الاتِّكاء على صدرك الحنون.

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد أكتوبر ١٩٦٩، ص ٢٠.
(٢) يقصد كتاب: "يسوع المصلوب"، للقمص منسَّى يوحنا.

ربي يسوع، إنَّ الحبَّ كان هو الطاقة الجبَّارة التي أوصلت هذه النفوس إلى الجلجثة.

يسوع يقع تحت الصليب:

إنَّ منظر الرب يسوع وهو واقعٌ تحت ثِقَل الصليب، لمنظرٌ رهيب يكشف عن ثِقَل خطية العالم، ويؤكِّد أنَّ لا شيء يوقِع حامل الكون بكلمة قدرته، إلَّا خطيتي وخطية الآخرين.

يا نفسي، كلُّ مرَّةٍ ترين هذا المنظر الرهيب، اذكري سقوطكِ، وحالًا قومي بقوَّة ذلك الذي حَمَلَه عنكِ. تذكَّري أنَّ الرب يسوع وقع معكِ تحت نِير الصليب.

إنَّ سقوط الرب يسوع تحت نِير الصليب، يساوي قيامي وحريتي من عبودية الخطية. أشكرك، يا إلهي، وأُمجِّد اسمك، وأقبل حَمْل صليبك الذي وهب لي القيام من الخطية.

أخاف الوقوع تحت ثِقَل صليبي!

أولًا: لا تخافي، يا نفسي، لأن الله لا يَدَعكِ تُجرَّبين فوق ما تحتملين، كالخيَّاط الماهر الذي يُفصِّل الثوب مضبوطًا على صاحبه. إلهنا ايضًا يُعطي التجربة بالقياس. لذلك، يا إلهي الحبيب، لن أختار لنفسي صليبًا، بل أطلب إليك ان تختاره أنت لي.

ثانيًا: إنَّ التجربة لها قصدٌ واحد هو خلاص نفوسنا. وهذا هو معنى قول الرسول: «... كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ» (رو ٨: ٢٨). أيُّ خير؟ الخير الروحي، وهو الأهم.

ثالثًا: يجب أن لا ننسى أنَّ الرب يسوع معنا في حَمْل الصليب، هو بجوارنا. لقد وقع الثلاثة الفتية في أتون النار؛ ولكن كان الرب يسوع معهم، فحوَّل النار لبرودة. فالربُّ يسوع لم يأتِ إلى العالم ليمنع عنَّا الصليب، ولكن ليشترك معنا في حمله.

ولكن ربما البعض يعترض ويقول: "لقد اجتزنا التجربة وحدنا". ولكن الرب يسوع يردُّ عليهم: "لقد كنتُ معكم، ولكنكم رفضتم النظر إليَّ، وأنا حامل الصليب؛ ولكن نظرتم لتعزية الناس".

اطمئني، يا نفسي، فإنَّ يسوع يُلازمك حاملًا الصليب. لا تخافي من الوقوع، ثقي أنَّ الرب يسوع بجانِبك. لقد كان الرب يسوع نائمًا في السفينة، ومع ذلك فقد كان البحر هائجًا. آمني فتنجي.

شكرًا لك، يا إلهي، لمحبتك، يا حَمَل الله، يا حامل خطية العالم كلِّه. من أجل هذا لن أختار لي صليبًا، بل أتركك أنت تختار لي صليبي، والذي سأضعه أنا على كتفك.

إلهي، أشكرك، ارحمني وأَعنِّي.